ثَمَّ يستطيع أن يتجنب أشكال الفوضى التى أشار إليها جوته فى قوله « لا شئ أفظع من خيال بدون ذوق »[1] .

على أن الأمر يظل قابلا لمزيد من الضبط والتقنين خاصة إذا أخذنا بما رصده (أرفينك بابيت) فى حواره حول « العبقرية والذوق » وتحديده لطبيعة علاقة الناقد بالشاعر ، مع ضرورة الحاجة إلى مناقشة تلك المقولة الطويلة التى قال فيها « إذا لم يكن على المبدع سوى أن يجد عبقريته ، أى تفرده الخاص فى صورة تعبير ، فإن من الصعب معرفة ما يدعونا إلى مطالبة الناقد بأن يكون أكثر نزاهة ، وأنه لا ينبغى أن يكون أقل انشغالا بصدق الانطباع الذى يتسلمه من عمل المبدع من انشغاله بالتحويرات المزاجية التى يسبغها على انطباعه هذا بإعادة تشكيله فى خلق جديد ، بحيث يكون تعبيرا عن عبقريته هو ، لعل هذه المضامين الجوهرية تعبر عن وجهة نظر تعبيرية انطباعية لم يتناولها أحد بأمتن تناغم مما تناولها به (أوسكار وايلد) فى حواره « الناقد فنانا » حيث يخلص وايلد من ذلك إلى القول بأن النقد « هو الشكل المختصر الوحيد للسيرة الذاتية»[2] ، على أن مناقشة ما انتهي إليه « بابيت » و «وايلد» معاً ينبغى أن تتم فى حَذَر وحرص ، باعتبار أن مسألة الذوق هذه ، وقد استوقفت كلا منهما ، لايمكن أن تطرح إلا فى حدود منضبطة وبقَدَر ، إذ يصبح مطلوبا - وهذا ضرورى - أن تُصْقَل الأدوات بشكل دقيق من خلال ذلك الوعى الصادق الذى يؤدى دوراً إيجابياً فى إخراج الناقد من دائرة الانطباع الشخصى ، أو من مبدأ التقييد أو الانتفاع ، وأن يأخذ نفسه بالمعايير والقواعد الموضوعية التى يمكنه الإفادة منها والإفادة بها ، ومن ثم يمكنه تطبيقها بحكمة ومرونة ، ولعله - آنذاك - يرتقى بموقفه كإنسان ، لا يشغله مجرد الخضوع للهوى بقدر ما يلتزم بما يفرضه على نفسه من تلك القواعد والأسس ، وهو - آنذاك - لايفقد حريته بقدر ما يحرص على قداستها من خلال إدراكه أنها إنما تنطلق من مقاومته لذلك الهوي ، أو - عَلى الأقل - خاصة بضبطه وتحجيمه ، وليس من باب الخضوع المطلق له ، وعندها يكون قد سعى نحو نوع من الكمال يتناسب مع طبيعته ، حين يتمسك بالحدود دون أن يقصد إلى هدمها ، أو الجور عليها أو إغفالها ، أو إسقاط أىٍّ منها .

---

(١) خمسة مداخل ص ٤٣ .

(٢) المرجع نفسه . ص ٣٧ .